إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين لفخر المحقِّقين (ت٧٧١هـ)

دراسة في بلاغة الإقناع

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ

جامعة الكوفة/كليَّة التربية الأساسيَّة

Imamate of Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib (PBUH) in the book "Tahsil Al-Najat fi Usul Al-Din" by Fakhr Al-Muhaqiqin (D.771A.H), A Study in Rhetoric of Persuasion

Prof. Dr. Abd Al-Ilah Abd Al-Wahhab Hadi Al-Ardawi

University of Kufa/College of Basic Education

الملخَّص

الحمدُ لله الذي منَّ علينا بنبيِّه الصادق الأمين محمَّدﷺ، وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام، والصلاة والسلام على أفضل خلقه وأشرف بريَّته، أئمَّة الهدى وسُفن النجاة آل البيتعليهم السلام المنتجَبين، وبعد:

تعدُّ بلاغة الإقناع منطلق البلاغة العربيَّة، وسمتها الناجعة، إذ انبثقت من الفلسفة والجدل اليونانيّ، ومنحت القول سلطة وقدسيَّة، كما أنَّها مصدر انبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصورة والحِلْية والمحسِّنات الأسلوبيَّة، حتَّى غدت بلاغة (مُختزَلة) بحسب قول جيرار جنيت، أو (ميِّتة) بحسب قول رولان بارت.

وبين المولد القديم والانبعاث الحديث، تبرز حركة عربيَّة إسلاميَّة شكَّلت فيها بلاغة الإقناع تجسيدًا لأجواء النضج العقليّ والصراع العقديّ، والتي اعتمدت على علم إجناسيّ تطبيقي هو: علم الكلام.

يفرض خطاب علم الكلام، بوصفه جنسًا حجاجيًّا، أسلوبًا للتفاعل والتناظر بين مختلف الفئات والأفراد، بما يشكِّل ثقافة الحوار البديل الإنسانيّ عن العنف والتطرُّف، ذلك أنَّ بلاغة الإقناع تمثِّل الجواب المعرفيّ عن الاختلاف، ونبذ صيحات الفُرقة والاقصاء. فكان ما تقدَّم سببًا لنا لاختيار اشتغالٍ تطبيقيٍّ في كتابٍ كلاميٍّ، هو (تحصيل النجاة في أصول الدين)، لفقيه من فقهاء الإماميَّة، يُشار له بعلوِّ الهمَّة والنشاط في العلوم

العقليَّـة والنقليَّة، وهو: فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسـن بن المطهَّر الحِلِّيّ (ت٧٧١هـ) في قضيَّـة عقديَّـة محوريَّة في الثقافة العربيَّة الإسـلاميَّة التي تمثِّل الأصـل الرابع من أصول الدين التي ذكرها في كتابه، ألَا وهي: الإمامة.

ونحـن في هـذا البحـث اقتصرنا عـلى الإمـام عـليّ عليه السلام وإمامته، وفي ضـوء ذلك كان للبحـث أن يُوسَـم بـ(إمامة أمير المؤمنـين عليّ بن أبي طالـب عليه السلام في كتاب تحصيل النجـاة في أصول الدين لفخر المحقِّقين (ت٧٧١هـ) دراسـة في بلاغة الإقناع)، وقُسِّـم البحث عـلى مقدِّمة ومحوَريـن، الأوَّل: الإطار النظريّ الذي قُسِّـم على ثلاث فقرات، الأولى: ترجمـة المؤلِّـف، الثانيـة: علم الكلام، الثالثـة: كتاب تحصيـل النجاة في أصول الديـن، ثـمَّ المحور الثاني: الإطار التطبيقـي، وفيه كانت الخطـوات الإجرائيَّة للبحث، ممثَّلـة ببيـان بلاغة الإقناع، من خـلال الأدلَّة والبراهين غير الصناعية التي تجسَّـدت في عـدَّة فقـرات، الأولى: القرآن الكريم، الثانية: الحديث النبـويّ الشريف المتَّفق عليه من الطَّرَفَين، الثالثة: أسـباب النزول، الرابعة: الأدلَّة العقليَّة، الخامسـة: الشواهد والوقائع التاريخيَّة، وخُتِم البحث بخاتمة عَرَضت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها، ثمَّ ثبت المصادر والمراجع.

Abstract

Praise be to Allah who bestowed upon us his honest and trustworthy Prophet Muhammad (PBUH) and his pure household (peace be upon them), and prayers and peace be upon the best of his creation and the most honorable of his creation, the chosen imams of guidance and the arks of salvation, Ahl al-Bayt (peace be upon them), and after:

The rhetoric of persuasion is the starting point of Arabic rhetoric and its effective feature, as it emanated from Greek philosophy and controversy And it granted the saying authority and sanctity, and it is also the source of the rebirth of modern rhetoric after long ages in which the interest of rhetoric was confined to the image, ornament and stylistic improvements until it became a "reductive" rhetoric according to Gerard Genet or "dead" according to Roland Barthes.

Between the ancient birth and the modern revival, an Arab Islamic movement emerges, in which the rhetoric of persuasion formed an embodiment of the atmosphere of mental maturity

and doctrinal conflict, which relied on an applied ethnoscience: the science of speech.

The discourse of theology as a genre of argumentation imposes a method of interaction and debate between different groups and individuals, which constitutes a culture of human alternative dialogue to violence and extremism, because the rhetoric of persuasion represents the epistemological answer to difference and the rejection of the cries of division and exclusion. The foregoing was a reason for us to choose an applied work in the book (Tahseel Al -Najat fi Usul Al-Din) for a jurist from the Imamiyyah, who is referred to as having high zeal and activity in the rational and literal sciences, and he is: Fakhr Al-Muhaqiqin Muhammad ibn Al-Hasan ibn Al-Mutahhar Al-Hilli (d. 771 A.H).

In a pivotal doctrinal issue in the Arab-Islamic culture, which represents the fourth principle of the fundamentals of religion that he mentioned in his book, namely: the Imamate.

In this research, we were confined to Imam Ali (peace be upon him), and his Imamate, and in light of that, the research titeled (Imamate of Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib, peace be upon him, in the book "Tahsil al-Najat fi Usul al-

Din" by Fakhr Al-Muhaqiqin (d. 771 A.H), a study in rhetoric of persuasion).

The research was divided into an introduction and two axes. The first: The theoretical framework, which was divided into three paragraphsThe first: the author's translation, the second theology, the third: The Book of Tahsil al-Najat fi Usul al-Din, Then the second axis: the applied framework: in which the procedural steps of the research were represented by the statement of eloquence of persuasion through non-artificial evidence and proofs that were embodied in several paragraphs, the first: the Holy Qur'an, the second: the honorable hadith of the Prophet agreed upon by both parties, the third: the reasons for revelation, the fourth: Mental Evidence, Fifth: Evidence and Historical Facts. The research was concluded with a conclusion that presented the most important findings, and then established the sources and references.

المقدِّمة

الحمدُ لله الذي مـنَّ علينا بنبيِّه الصادق الأمين محمَّدﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام، والصـلاة والسـلام عـلى أفضـل خلقـه وأشرف بريَّتـه، أئمَّـة الهـدى وسُـفن النجاة آل البيتعليهم السلام المنتجَبين، وبعد:

تعدُّ بلاغة الإقناع منطلق البلاغة العربيَّة، وسمتها الناجعة، إذ انبثقت من الفلسفة والجدل اليونانيّ، ومنحت القول سلطة وقدسيَّة، كما أنَّها مصدر انبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصورة والحِلْية والمحسِّنات الأسلوبيَّة، حتَّى غدت بلاغة (مُختزَلة) بحسـب قول جيرار جنيت، أو (ميِّتة) بحسـب قول رولان بارت.

وبـين المولد القديم والانبعاث الحديث، تبرز حركة عربيَّة إسـلاميَّة شـكَّلت فيها بلاغة الإقناع تجسيدًا لأجواء النضج العقليّ والصراع العقديّ، والتي اعتمدت على علم إجناسيّ تطبيقي هو: علم الكلام.

يفرض خطاب علم الكلام، بوصفه جنسًا حجاجيًّا، أسلوبًا للتفاعل والتناظر بين مختلف الفئات والأفراد، بما يشـكِّل ثقافة الحوار البديل الإنسانيّ عن العنف والتطرُّف، ذلـك أنَّ بلاغـة الإقنـاع تمثِّل الجواب المعـرفيّ عن الاختـلاف، ونبذ صيحـات الفُرقة والاقصاء. فكان ما تقدَّم سببًا لنا لاختيار اشتغالٍ تطبيقيٍّ في كتابٍ كلاميٍّ، هو (تحصيل النجاة في أصول الدين)، لفقيه من فقهاء الإماميَّة، يُشار له بعلوِّ الهمَّة والنشاط في العلوم

العقليَّة والنقليَّة، وهو: فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن بن المطهَّر الحِلِّيّ (ت٧٧١هـ) في قضيَّة عقديَّة محوريَّة في الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة التي تمثِّل الأصل الرابع من أصول الدين التي ذكرها في كتابه، ألَا وهي: الإمامة.

ونحن في هذا البحث اقتصرنا على الإمام عليّ عليه السلام وإمامته، وفي ضوء ذلك كان للبحث أن يُوسَم بـ(إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين لفخر المحقِّقين (ت٧٧١هـ) دراسة في بلاغة الإقناع)، وقُسِّم البحث على مقدِّمة ومحوَرَين، الأوَّل: الإطار النظريّ الذي قُسِّم على ثلاث فقرات، الأولى: ترجمة المؤلِّف، الثانية: علم الكلام، الثالثة: كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين، ثمَّ المحور الثاني: الإطار التطبيقي، وفيه كانت الخطوات الإجرائيَّة للبحث، ممثَّلة ببيان بلاغة الإقناع، من خلال الأدلَّة والبراهين غير الصناعية التي تجسَّدت في عدَّة فقرات، الأولى: القرآن الكريم، الثانية: الحديث النبويّ الشريف المتَّفق عليه من الطَّرَفَين، الثالثة: أسباب النزول، الرابعة: الأدلَّة العقليَّة، الخامسة: الشواهد والوقائع التاريخيَّة، وخُتِم البحث بخاتمة عَرَضت أهمَّ النتائج التي توصَّل إليها، ثمَّ ثبت المصادر والمراجع.

وأخيرًا هذا ما وفَّقنا الله تعالى، في الكشف عن مواطن بلاغة الإقناع في نصِّ كتاب تحصيل النجاة لفخر المحقِّقين، فنسأل الله الغفران إن قصَّرت ولم استطع أن أحيط بكلِّ الموضوع، أو فاتني شيء منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبة للمتَّقين.

المحور الأوَّل

الإطار النظريّ

التعريف بالمصطلحات والمقولات الواردة في البحث

أوَّلًا: ترجمة فخر المحقِّقين

اسمه وولادته ونشأته العلميَّة:

هو محمَّد، وكنيته أبو طالب، اشتُهر بفخر الدين وفخر الإسلام، وهو ابن العلَّامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ[1].

ولِد أبو طالب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ في منتصف ليلة الاثنين (٢٠) جمادى الأولى سنة ٦٨٢هـ، في مدينة الحِلَّة العراقيَّة، سافر مع والده في أيَّام شبابه إلى إيران، ثمَّ عاد إلى الحِلَّة[2].

وكانت تربيته ونشأته العلميَّة- معظمها- على أبيه العلَّامة الحِلِّيّ، واشتغل عنده بتحصيل مختلف العلوم العقليَّة والنَّقليَّة، كما صرَّح به نفسه في شرح خطبة القواعد، بقوله: «إنِّي اشتغلت عند أبي بتحصيل العلوم من المعقول والمنقول، وقرأت عليه كتبًا كثيرة من كتب أصحابنا»[3].

(١) ينظر: تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ١٣.
(٢) ينظر: فخر الدين محمَّد: ٣٤.
(٣) الرسالة الفخريَّة: ١٠.

وقد ذكر أنَّه كان شابًّا عالمًا فطنًا مستعدًّا للعلوم، وقد فاز بدرجة الاجتهاد وهو ابن عشر سنين[1]، وكان محلَّ تجليل وثقة من قِبَل أبيه، حتَّى أوصاه بإتمام ما بقي من مؤلَّفاته بعد وفاته[2]. ودعا له بأدعية الخير كسعادة الدَّارَين، والتوفيق، وبلوغ الآمال[3].

ويعتقد القاضي نور الدين التستريّ في كتابه مجالس المؤمنين أنَّ فخر المحقِّقين لم يبلغ العاشرة من عمره عند تأليف أبيه العلَّامة الحِلِّيّ لكتاب القواعد، وذلك يتَّضح عند المقارنة بين سنة تأليف الكتاب، وسنة ولادة فخر المحقِّقين، ولكن عليّ دواني يردُّ هذا الرأي ويقول: ربَّما العلَّامة ألَّف كتاب القواعد في البداية بصورة ملخَّصة، ثمَّ أوصى ابنه فخر المحقِّقين أن يقوم بإتمامه، فيكون عمر فخر المحقِّقين عند بداية تأليف كتاب القواعد إمَّا لم يبلغ سن البلوغ أو في بدايته[4]. وذكر فخر المحقِّقين في تعليقه على كتاب الألفين أنَّه غادر هو وأبوه الموطن، وسافرا إلى منطقة من مناطق أذربيجان الإيرانيَّة، وبعد فترة عادا إلى الحِلَّة[5].

تلامذته:

تتلمذ على يده مجموعة من العلماء، منهم:

١. الشهيد الأوَّل.

٢. السيِّد بدر الدين المدنيّ.

(١) ينظر: الرسالة الفخريَّة: ١٠.
(٢) ينظر: الكنى والألقاب: ٣/ ١٦.
(٣) ينظر: الرسالة الفخريَّة: ١٣، نقلًا عن كتاب الألفين: ١٢.
(٤) ينظر: مجالس المؤمنين: ٢/ ٣٦٢.
(٥) ينظر: كتاب الألفين: ١/ ١٩٨.

٣. أحمد بن متوَّج البحرانيّ.

٤. السيِّد حيدر الآملي.

٥. السيِّد تاج الدين بن معيَّة.

٦. ابنه ظهير الدين[١].

مؤلَّفاته:

ألَّف فخر المحقِّقين كتبًا في مختلف العلوم الإسلاميَّة، ومعظمها تكملة أو شرح لمؤلَّفات أبيه العلَّامة الحِلِّيّ، كتكملة كتاب الألفين، وإيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد، وما يلي جملة منها:

١. إيضاح الفوائد في حلِّ مشكلات القواعد، لوالده العلَّامة، في الفقه، يقع في أربعة مجلَّدات مطبوعة.

٢. حاشية الإرشاد، لوالده العلَّامة، في الفقه.

٣. الرسالة الفخريَّة في معرفة النيَّة.

٤. شرح خطبة القواعد المسمَّى بجامع الفوائد، صنَّفه بعد الإيضاح.

٥. شرح كتاب تهذيب الأصول، لوالده العلَّامة، المسمَّى بغاية السؤول في شرح تهذيب الأصول.

٦. شرح كتاب مبادئ الأصول، لوالده العلَّامة.

٧. شرح كتاب نهج المسترشدين، لوالده العلَّامة، في أصول الدين وعلم الكلام.

(١) ينظر: الرسالة الفخريَّة: ١٢-١٣، إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد (مقدِّمة المحقِّقين): ١٤، معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين (مقدِّمة المحقِّق): ١٣-١٤.

٨. الكافية الوافية في الكلام.

٩. المسائل الحيدريَّة، ألَّفها لأحد تلاميذه الأجل السيِّد حيدر الآمليّ.

١٠. أجوبة مسائل السيِّد مهنَّا بن سنان المدنيّ.

١١. تحصيل النجاة في أصول الدين.

١٢. ثلاث وأربعون حديثًا نبويًّا.

١٣. حاشية القواعد.

١٤. شرح مبادئ الأصول.

١٥. مناسك الحجِّ.

١٦. منبع الأسرار[١].

وفاته:

توفِّي فخر المحقِّقين سنة (٧٧١) للهجرة، عن عمرٍ ناهز (٨٩) سنة، وليس هناك معلومات عن مدفنه ومزاره، ولكن يستدلُّ الشيخ عبَّاس القمِّيّ في الفوائد الرضويَّة من كلام المجلسيّ الأوَّل في شرحه لكتاب من لا يحضره الفقيه، أنَّ فخر المحقِّقين توفِّي ودُفِن في الحِلَّة، وتمَّ نقل جنازته إلى النجف الأشرف، ولا يُستَبعَد أن يكون قبره إلى جانب قبره أبيه العلَّامة الحِلِّيّ[٢].

(١) ينظر: الرسالة الفخريَّة: ١٤، تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ٢١-٢٢، فهرس التراث: ١/ ٧٣٢-٧٣٣، موسوعة طبقات الفقهاء: ٨/ ١٩٢، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣/ ٣٩٨.

(٢) ينظر: الفوائد الرضويَّة: ٤٨٨.

يقول المامقانيّ في تنقيح المقال حول مدفنه: لم أقف على من عيَّن مدفنه والمنقول على لسان المشايخ أنَّه صار أكيلَ السِّباع لقضيَّة تُنقَل لا أستحسن نقلها للإزراء بمعاصريه؛ فلذا لم يوجد له جسد حتَّى يُدفَن[١].

ثانيًا: علم الكلام، تعريفه وسبب تسميته

يقول ابن خلدون معرِّفًا علم الكلام: «هو علم يتضمَّن الحِجَاج عن العقائد الإيمانيَّة بالأدلَّة العقليَّة، والردُّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السَّلف وأهل السنَّة، وسرُّ هذه العقائد الإيمانيَّة هو التوحيد»[٢]، أو هو «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينيَّة، وإبراز الحجج، ودفع الشبهة»[٣]، وعرَّفه الفارابيّ في كتابه إحصاء العلوم، بقوله: «وصناعة الكلام مَلَكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرَّح بها واضع الملَّة، وتزييف كلِّ ما خالفها بالأقاويل»[٤].

وهناك تعريفات أخرى للكلام تحدِّده بموضوعه، لتفصل بينه وبين العلوم الأخرى الناظرة في الإلهيَّات، منها تعريف الشريف الجرجانيّ له بقوله: علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام. فهو علم عظيم الشأن، يعالج أهمَّ قضايا الإنسان، مثل: قضية الألوهيَّة، وقضيَّة الرسالة، وقضيَّة الجزاء في اليوم الآخر، وغير ذلك. فعلم الكلام، وعلم أصول الدين، وعلم التوحيد والصفات، ثلاثة أسماء مترادفة لمسمَّى واحد، وسُمِّي بعلم التوحيد؛ لأنَّ مبحث الوحدانيَّة أشهر مباحثه، وسمِّي بعلم أصول الدين؛ لابتناء الدين عليه.

(١) ينظر: تنقيح المقال في علم الرجال: ٣/ ١٠٦.
(٢) مقدِّمة ابن خلدون: ٤٢٩.
(٣) المواقف في علم الكلام: ٧.
(٤) إحصاء العلوم: ٤١.

وقد تعدَّدت أسباب تسمية هذا العلم بهذا الاسم، منها أنَّ أشهر المباحث الكلاميَّة وأكثرها نزاعًا بين الباحثين في المسائل الاعتقاديَّة هي مسألة (كلام الله)، وقد قال سعد الدين التفتازانيّ في بيان أسباب تسمية هذا العلم، باسم علم الكلام، فقال: «لأنَّ عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا؛ ولأنَّ مسألة الكلام كان أشهر مباحثه وأكثرها نزاعًا وجدالًا، حتَّى إنَّ بعض المتغلبة قتل كثيرًا من أهل الحقِّ؛ لعدم قولهم بخلق القرآن»[1].

وذهب الشهرستانيّ في كتابه الملل والنِّحل إلى أنَّ سبب تسميته بهذا الاسم: «إمَّا لأنَّ أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها، هي مسألة الكلام، فسمِّي النوع باسمها، وإمَّا لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنًّا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان». ويعلِّل عضد الدين الإيجيّ تسمية علم الكلام بأسباب مماثلة بقوله: «إنَّما سمِّي كلامًا، إمَّا لأنَّه بإزاء المنطق للفلاسفة، أو لأنَّ أبوابه عُنوِنَت أوَّلًا بالكلام في كذا، أو لأنَّ مسألة الكلام أشهر أجزائه حتَّى كثر فيه التناحر والسفك، فغلب عليه، أو لأنَّه يورِث القدرة على الكلام في الشرعيَّات ومع الخصم»[2]، والأرجح أنَّ علَّة تسميته بالكلام وعلم الكلام، راجعة لاشتهاره بالخوض في موضوع كلام الله تحديدًا.

نشأته وأهدافه:

سبب نشأة علم الكلام هو الردُّ على المبتدعة، الذين أكثروا من الجدال مع علماء المسلمين، وأوردوا شُبهًا على ما قرَّره الأوائل، فاحتاج العلماء من أهل السنَّة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتَّى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم، وحتَّى

(١) شرح العقائد النسفيَّة: ١٠.

(٢) المواقف في علم الكلام: ١/ ٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٣٣.

لا يُدْخِلُوا في الدين ما ليس منه، ولو ترك العلماء هؤلاء الزنادقة وما يصنعون؛ لاستولوا على كثير من عقول الضعفاء وعوام المسلمين، والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم، فأضلُّوهم، وغَيَّروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة.

وقبل تصدِّي هؤلاء العلماء لهم، لم يكن أحد يقاومهم، وسكوتهم هذا أدَّى إلى نشر كلام هؤلاء الزنادقة، حتَّى اعتقده بعض الجاهلين، فكان لِزَامًا على علماء المسلمين أن يقوموا بالردِّ على هؤلاء، من خلال تعلُّمهم هذا العلم ونبوغهم فيه؛ لأنَّ إفحامهم بنفس أدلَّتهم أدعى لانقطاعهم، وإلزامهم الحقَّ، فردُّوا عليهم وأبطلوا شبههم، وكانت طريقتهم في الردِّ هي إثبات العقائد الإسلاميَّة، والاستدلال عليها بما هو من جنس حُجَجِ القرآن، من الكلمات المؤثِّرة في القلوب، المقنعة للنفوس، من الأدلَّة الجلِيَّة الظاهرة. كما قال سعد الدين التفتازانيّ: «الأحكام الجزئيَّة بأدلَّتها التفصيليَّة موقوفة على معرفة أحوال الأدلَّة الكليَّة من حيث توصِل إلى الأحكام الشرعيَّة، وهي موقوفة على معرفة الباري وصفاته، وصدق المبلِّغ ودلالة معجزاته، ونحو ذلك ممَّا يشتمل عليه علم الكلام الباحث عن أحوال الصانع والنبوَّة والإمامة والمعاد، وما يتَّصل بذلك على قانون الإسلام»[1].

ويعدُّ علم الكلام من العلوم الخادمة لعلوم الدين، والممهِّدة لإثبات المسائل الشرعيَّة، والنافعة في إقامة الحجج، ودفع الشبه، ويعدُّ بعض العلماء أنَّ جذور علم الكلام يرجع إلى الصحابة والتابعين، ويورِد البعض على سبيل المثال ردّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الخوارج، وردّ ابن عبَّاس، وابن عمر، وعمر بن عبد العزيز، والحسن ابن محمَّد بن الحنفيَّة على المعتزلة، وردّ إياس بن معاوية المزنيّ على القدريَّة، والتي كانت شبيهة بفرضيَّة الحتميَّة.

(١) شرح التلويح على التوضيح: ٢٢.

وغايته تتلخَّص فيما يأتي[1]:

١. معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله.

٢. تقوية اليقين بالدين الإسلاميّ عن طريق إثبات العقائد الدينيَّة بالبراهين القطعيَّة، وردُّ الشبهة عنها.

٣. أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعيَّة متقَنًا محكمًا.

٤. الرقيّ بالمسلم من التقليد إلى اليقين.

ثالثًا: كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين

يصنَّف كتاب تحصيل النجاة ضمن الكتب الكلاميَّة، وقد كتبه لتلميذه السيِّد ناصر الدين حمزة بن حمزة العلويّ، ويرى محقِّق الكتاب في زمن تأليفه «وتشير بعض الأدلَّة إلى أنَّ هذا الكتاب قد أُلِّف بين سنة ٧٢٦هـ، وسنة ٧٣٦هـ؛ لأنَّه من جهة استعمل فيه تعبيرات من قبيل: «وقد استدلَّ والدي قدَّس الله روحه...»، التي تدلُّ على أنَّ تاريخ كتابته كان بعد وفاة العلَّامة الحِلِّيّ، يعني بعد سنة ٧٢٦هـ، ومن جهة أخرى، فإنَّ فخر المحقِّقين قد كتب على ظهر الورقة الأولى من النسخة المعتمدة عليها في هذا التحقيق إجازة رواية لحمزة بن حمزة العلويّ سنة ٧٣٦هـ، لذا فإنَّنا نستنتج، أنَّ تأليف الكتاب كان قبل هذا التاريخ»[2].

قصد المؤلِّف من تأليف كتابه وضع مباحث في أصول الدين وفروعه، كما ثبت ذلك في مقدِّمته، والموجود يختصُّ بالأصول دون الفروع، ولا يُعلَم هل كتب المؤلِّف ما رام تأليفه في فروع الدين، أو لم يوفَّق إلى ذلك[3].

(١) ينظر: بحوث في علم الكلام: ٢٢، علم الكلام نبذة موجزة: ٦.

(٢) تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ٢٢.

(٣) ينظر: تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ٢٢.

يحتوي الكتاب على مقدِّمة من فصلَين، وعلى خمسة أصول، تضمَّن فصلا المقدِّمة المباحث المتعلِّقة بالنظر، وتقسيم الوجود إلى الممكن والواجب، وحدوث العالم، وإبطال الدور والتسلسل، ويختصُّ الأصل الأوَّل بمباحث التوحيد، والأصل الثاني بمباحث العدل، والأصل الثالث بمباحث النبوَّة، والأصل الرابع بالإمامة، والأصل الخامس بمباحث الوعد والوعيد[١].

ومن بين الأصول الخمسة، كان بحث الإمامة يشغل الحيِّز الأكبر من الكتاب، أي ما يقرب من الثُّلثين، والمؤلِّف يعتمد في مبحث الإمامة إثباتها عند الأئمَّة عليهم السلام عن طريق الاستشهاد بكراماتهم، وعليه فالمصادر الروائيَّة التي تحتوي على كرامات أهل البيت عليهم السلام المصدر الأساسيّ المعتمَد لديه في كتابه[٢].

ومصادر نقولاته الروائيَّة كثيرة، أهمُّها كتاب (كشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة) لعليّ ابن عيسى الإربلِّيّ (ت ٦٩٢هـ)، وغيرها من الكتب[٣].

(١) ينظر: تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ٢٣.
(٢) ينظر: تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ٢٣.
(٣) ينظر بالتفصيل: تحصيل النجاة في أصول الدين (مقدِّمة المحقِّق): ٢٣.

المحور الثاني

الإطار التطبيقيّ

يقول أرسطو عن الأدلة والبراهين «وأمَّا الأدلَّة والبراهين، فبعضها مستقلٌّ عن الفنِّ، ليس من صنعنا، وبعضها الآخر تابع له، أي من عملنا واختيارنا»[1]، فأرسطو قسَّم البراهين والأدلَّة على قسمَين: **أدلَّة غير صناعيَّة** (ليست من صنعنا)، ويُطلق عليها أيضًا التصديقات غير الصناعيَّة أو الجاهزة أو الأدلة الخارجة عن الفنِّ، **وأدلَّة صناعيَّة** (أي من عملنا واختيارنا)، وتسمَّى أيضًا التصديقات الصناعيَّة أو غير الجاهزة أو الأدلَّة داخل الفن[2].

وبعد ذلك فصَّل أرسطو كلَّ قسمٍ من القسمَين، فمن **الأدلَّة غير الصناعيَّة** الاعترافات تحت التعذيب والشهود والقوانين وأقوال الحكماء... وهي أدلَّة وبراهين لا يستطيع الخطيب التصرُّف فيها، ويقتصر عمله على حُسن توظيفها بترتيبها وإبرازها وتنظيمها[3].

أمَّا **الأدلَّة الصناعيَّة**، فتنقسم بدورها على أدلَّة ذاتيَّة نفسيَّة ترتبط بالمقام، حدَّدها في الإيتوس، أي أخلاق الخطيب وشخصيَّته، والباتوس أي أحوال المستمعين ومشاعرهم، وأدلة موضوعية تتعلَّق بالعبارة نفسها وتتفرَّع بدورها إلى القياس المضمر،

(١) الخطابة: ٨٤.

(٢) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ مدخل نظريّ وتطبيقيّ: ٢٠٧.

(٣) ينظر: البلاغة القديمة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١٠٢.

ويكـون إمَّا اسـتدلاليًّا أو تفنيديًّـا، والمثل، ويكـون إمَّا تاريخيًّـا ميتولوجيًّـا،أو مبتدعًا خرافيًّا[١].

الأدلَّة والبراهين غير الصناعيّة:

يبرز هذا النوع من الحجج في أجناس الخطاب المختلفة من خلال توظيف الشاهد الدينيّ أو الأدبيّ، وهو «مقطع من نصٍّ يؤخَذ من سـياقه الأصليّ، ويدرج في سياق آخر بطريقةٍ ما، لتحقيق وظيفةٍ ما، فهو نقطة تقاطع بين نصَّين مختلفَين... كإدراج الأمثال في الخطب والرسائل، أو اقتباس القرآن الكريم...»[٢].

كما يرد يعدُّ الشـاهد تلخيصًـا لفكرة تمَّ طرحها أو تكرارًا لهـا، إلَّا أنَّ هذا التكرار مفيـد، «فلإعـادة نصٍّ قديمٍ في سـياقٍ جديـدٍ أثرٌ في توجيـه القارئ العارف بالسـياق الذي أخذ منه الشـاهد، فهي تنشِّـط ذاكرتـه، وتحيله على نصوص أخـرى تختفي وراء الشاهد»[٣].

إنَّ الآيـات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة والأبيات الشـعريَّة والأمثـال والحِكَم... تمتلـك سـلطة مرجعيَّة تجعلها قـادرة على إقنـاع المتلقِّي وإفحام الخصـم، فهي «حجج جاهزة تكتسـب قوَّتها من مصدرهـا، ومن مصادقة الناس عليهـا وتواترها»[٤]، إلَّا أنَّ نفوذ هذه الشـواهد/ الحجج يتفاوت، فالقرآن الكريم بوصفه كلام الله سبحانه وتعالى، لا تضاهيـه حجَّـة في الثقافة العربيَّة الإسـلاميَّة، يليه الحديث الشريـف، فهو كلام مَن لا ينطـق عن الهوى صلَّى الله عليه وآله وسـلم، ثمَّ أقوال الأئمَّـة عليهم السلام، وكلامهم امتداد

(١) ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ٢٤.
(٢) الرسائل الأدبيَّة من القرن الثالث إلى القرن السادس للهجرة (مشروع قراءة إنشائيَّة): ٣٩٩.
(٣) م.ن: ٤٠٠.
(٤) في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ٦٥.

طبيعيّ للسلسلة المقدَّسة المبتدئة بالإمام عليّ عليه السلام، والمنتهية بالقائم المهدي عجل الله فرجه، ثمَّ الشعر ديوان العرب وجامع أخبارها وسيرها، وأساس الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، إذ «يكاد يُجمِع المهتمُّون بها على أنَّ شأن الشعر فيها، لا يوجد في حضارة سواها»[1]. ولعلَّ خير دليل على مكانة الشعر وأهميَّته في الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، أنَّه كان ملجأ المفسِّرين لفهم كتاب الله عزَّ وجلَّ، وكشف مقاصده، ممَّا أكسبه «حجيَّة قويَّة وفعَّالة في تحقيق الترجيح، وفي قطع الشغب، وفي إيقاع التصديق»[2]، ثمَّ يأتي دور الأمثال والحِكَم بعد الشِّعر، وإذا أردنا توظيف مفاهيم السلَّم الحجاجيّ عند ديكرو؛ لإدراج هذه الشواهد/ الحجج، فستظهر لنا الترسيمة الآتية:

أمَّا في المسائل العقديَّة، فالسلَّم الحجاجيّ يختلف في بعض حججه التي يمكن بيانها بالسلَّم الآتي[3]:

(١) خطاب المناظرة: ٢٠٦.

(٢) م.ن: ٢٠٧.

(٣) أفدنا من صياغة هذا السلَّم من رأي صاحب كتاب: المناظرات في الإمامة: ١٨.

ونجد فخر المحقِّقين في كتابه تحصيل النجاة في أصول الدين قد وظَّف تلك الحجج، كما سنراه في الفقرات القادمة.

١. القرآن الكريم:

وظفَّ الامام الرضا عليه السلام الشاهد القرآنيّ بوصفه سلطة تمتلك نفوذًا ومصداقيَّة، ممَّا يجعل منه «الحجَّة العليا»[١]، فالفعل الحجاجيّ الذي يتمُّ به أكثر اقناعًا؛ لأنَّه متأتٍّ من سلطة غير شخصيَّة؛ لأنَّه العقيدة والكتاب المقدَّس للمسلمين عامَّة، لذلك يشكِّل مصداق إجماعٍ عامٍّ تأتي من بعده الحجج الأخرى، وقد استعمله فخر المحقِّقين في كتابه تحصيل النجاة في أصول الدين، بشكلٍ كبيرٍ جدًّا، ممَّا يؤكِّد مصداقه الذي لا يقبل الشكَّ مطلقًا.

ففي الوجوه الدالَّة على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مصاديق قرآنيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ: ٢٦٢.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، روى أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عبَّاس، قالوا: «يا رسول الله ومَن قرابَتك الذين وجَب علينا مودَّتهم؟» قال: «**عليّ وفاطمة وأبناهما**»[2]، ومثله في تفسير الثعلبيّ[3].

ويعلِّق فخر المحقِّقين بالقول: «ووجوب مودَّتهم دون باقي الصحابة يقتضي أفضليَّتهم، والمفضول يَقبح تقديمه على الفاضل»[4].

ومن المصاديق القرآنيَّة قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[5]، روى الفقيه ابن المغازليّ الشافعيّ بإسناده الصحيح المتَّصل إلى ابن عبَّاس، قال: كنت جالسًا مع فئة من بني هاشم مع النبيّ صلى الله عليه وآله إذا انقضَّ كوكب، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**من انقضَّ هذا النجم في منزله، فهو الوصيُّ من بعدي**»، وانقضَّ في بيت عليّ عليه السلام، قال جماعة من بني هاشم: «يا رسول الله لقد غُويت في حبِّ عليّ»، فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقًا لإخباره بخلافة عليّ وإمامته[6].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[7]، يقول فخر المحقِّقين في الآية معلِّقًا ومثبتًا إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «اتَّفق المسلمون كافَّة على أنَّ المراد بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ هو عليّ بن أبي

(١) الشورى: ٢٣.
(٢) رواها أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة: ٢/ ٦٦٩.
(٣) ينظر: تفسير الثعلبيّ: ٣١٠.
(٤) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٥.
(٥) النجم: ١-٤.
(٦) ينظر: مناقب عليّ بن أبي طالب(ابن المغازليّ): ٢١٦، مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٣٦٩، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٢/ ٢٧٨، نهج الحقِّ وكشف الصدق: ١٩٣، تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٤.
(٧) آل عمران: ٦١.

طالب، فقد دلَّت هذه الآية على أنَّه نفس النبيّ، فتكون له الولاية، وله الحكم، ويكون أفضل من الكلِّ؛ لأنَّ الاتِّحاد محال، فبقي المساواة، فلا يجوز تقدُّم أحد على النبيّ، فكذا مساويه»[1].

ولا بدَّ أن نذكر هنا أنَّ الدكتور حسين الصدِّيق انتبه إلى أنَّ الاقتباسات القرآنيَّة التي تعتمدها المناظرات، غالبًا ما تكون مسبوقة بـ: قال تعالى، أو قال عزَّ وجلَّ، وهذا الإسناد، كما يرى، يمنحه هذا «الاقتباس ثقلًا دينيًّا أكبر»[2]، فمواقف «الشكِّ أو النَّفي التي يتواجه بها المتناظران آراء بعضهما البعض، تتوقَّف عندما تتمُّ الإحالة إلى القول الآلهيّ. لذلك فكلُّ مناظرٍ يقتبس من القرآن، يمنح إقراراته صفة جزميَّة، ويفتح الطريق سالكًا نحو الإفحام»[3].

وقد استعمل فخر المحقِّقين الاقتباسات القرآنيَّة، وإن لم تكن في جنس المناظرة، وإنَّما في كتابه الكلاميّ تحصيل النجاة في أصول الدين، والهدف واحد، وهو إعطاء الكلام قوَّة ومصداقيَّة؛ بسبب ثقل القرآن الذي لا يدانيه حجَّة أو برهان من مصدر آخر.

٢. الحديث النبويّ الشريف:

وظَّف الإمام الرِّضا عليه السلام الشاهد الحديثيّ بوصفه سلطة مرجعيَّة تحتلُّ مكانةً كبيرةً في الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، فهو كلام من لا ينطق عن الهوى، الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وهو امتدادٌ للقرآن الكريم، ومن شواهده عند فخر المحقِّقين في كتابه تحصيل النجاة في أصول الدين لإثبات إمامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قوله صلى الله عليه وآله:

(١) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٧.
(٢) المناظرة في الأدب العربي الإسلاميّ: ٢٧٢.
(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة: ٢٣٨.

«**أقضاكم عليّ**»[1]. ويعلِّق فخر المحقِّقين على الحديث النبويّ بقوله: «والقضاء يستلزم العلم»[2]، وهي من مصاديق الإمامة، ومنه قوله ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[3]، ويعلِّق فخر المحقِّقين على الحديث النبويّ بقوله: «ولأنَّ جميع العلوم وجِدت في كلامه عليه السلام، وجميع العلوم الأصوليَّة والفروعيَّة أخذت منه»[4].

ومنه قوله ﷺ: «**أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيّ بعدي**»[5]، ويعلِّق فخر المحقِّقين على الحديث النبويّ بقوله: «فثبت له عليه السلام جميع منازل هارون من موسى الاستثناء الدال على العموم، وكان هارون خليفة موسى، ولو عاش بعده لكان خليفته، فيكون عليّ عليه السلام كذلك»[6].

ومنه أيضًا قوله ﷺ: (روى أخطب خوارزم بإسناده إلى أبي ليلى الغفاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ناصب عليًّا الخلافة بعدي فهو كافر، وقد حارب الله ورسوله**»)[7].

(١) ينظر: دعائم الإسلام: ١/ ٩٢، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ١/ ٩١، الإفصاح في الإمامة: ٢٣٣، تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠١.

(٢) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠١.

(٣) ينظر: تفسير القمّيّ: ١/ ٦٨، المعجم الكبير: ١١/ ٦٥، المستدرَك على الصحيحَين: ٣/ ١٧٣، تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠١.

(٤) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠١-١٠٢.

(٥) مسند أحمد: ٣/ ١٥٥، صحيح البخاريّ: ٦/ ٣، صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٠، تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٧.

(٦) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٧-١٠٨.

(٧) في تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٨، هامش(٢): الظاهر أنَّ الخوارزميّ لم ينقل هذا الحديث، بل نقله ابن المغازليّ في مناقبه. ينظر: مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٩٣، والظاهر أنَّ المصنِّف تابع العلَّامة الحِلِّيّ في ذلك. ينظر: كشف اليقين: ٢٩٣، والحديث في المصادر عن أبي ذر الغفاريّ، لا عن أبي ليلى الغفاريّ.

والاستشهاد بالحديث النبويّ الشريف ورد في مواضع أخرى من الكتاب؛ بوصفه مصداقًا لإمامة الإمام عليّ بن أبي طالب[١].

٣. أسباب النزول:

أسباب النزول في هذه الموارد شكَّلت مصاديق ووسائل إثبات وإقناع لا يمكن إنكارها من الطرف الآخر؛ للاتِّفاق على ورودها في مواضعها التي نزلت بها الآيات القرآنيَّة.

يقول فخر المحقِّقين بعد إيراده قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[٢]، نزلت «في عليّ عليه السلام بالإجماع، والمعطوف والمعطوف عليه متشاركان في الحكم المذكور، كما لو قال: العالم زيد وعمرو، فتكون الولاية الثابتة لعليّ عليه السلام على الخلق كالولاية الثابتة لرسول الله، والولاية الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله كالولاية الثابتة لله تعالى، لكن ولاية الله تعالى تعني الأولى بالتصرُّف، ولا نعني بالإمام إلَّا ذلك، ومن وَقَع له شكٌّ في هذا القدر، فليس بصحيح العقل والفكر»[٣].

ومن أسباب النزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤]، نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام بالاتِّفاق[٥]، يقول فخر المحقِّقين: «لمَّا نزلت هذه الآية، أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بعضد عليّ، ثمَّ قال: (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه)[٦]، والمراد بالمولى

(١) ينظر: تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٤.
(٢) المائدة: ٥٥.
(٣) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٢.
(٤) المائدة: ٦٧.
(٥) ينظر مثلًا: النور المشتعل من كتاب ما نزل من القرآن في علي عليه السلام: ٨٦، تفسير الثعلبيّ: ٤/ ٩٢.
(٦) مسند أحمد: ٢/ ٧١، سنن ابن ماجة: ١/ ٤٥، سنن الترمذيّ: ٥/ ٦٣٣.

الأولى بالتصرُّف»[1].

ومن أسباب النزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[2]، يقول فخر المحقِّقين: «**وإكمال الدين إنَّما يكون بأن ينصَّب إمامًا معصومًا حتَّى يحصل العلم بقوله لعصمته، ولا يعتريه شك، وغير عليّ عليه السلام لم يكن معصومًا إجماعًا**»[3]، ويخلص إلى القول بعد إيراده الروايات والأحاديث المتعلِّقة بها، وكونها نزلت في الإمام علي عليه السلام في غدير خم[4] وهذا «يدلُّ على أنَّ إمامة عليّ عليه السلام من أصول الإيمان لا من فروعه»[5].

ومن أسباب النزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾[6]، نزلت في الإمام عليّ عليه السلام إجماعًا[7]، وأنَّ الامام عليّ عليه السلام قد أمره النبيّ صلى الله عليه وآله أن ينام في فراشه، وهذا يدلُّ، كما يقول فخر المحقِّقين: «على أنَّه أفضل من كلِّ الصحابة، فلا يجوز تقديم المفضول عليه. واعلم أنَّ فداء عليّ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله بنفسه لا توازيه مرافقة الغار، ولا إنفاق الدرهم والدينار. ثمَّ نزلت هذه الآية بهذه المدحة فيه، وأمَّا الغار فلم ينزل فيه إلَّا ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾[8]، وهي صفة من العدد عقليَّة، تحصل

(١) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٣.
(٢) المائدة: ٣.
(٣) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٣.
(٤) ينظر مثلًا: فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم: ١/ ٤٤، كتاب سليم بن قيس الهلاليّ: ٢/ ٨٢٨، المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب: ٤٨٦، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٢٠١.
(٥) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٣.
(٦) البقرة: ٢٠٧.
(٧) ينظر مثلًا: تفسير الثعلبيّ: ٢/ ١٢٥-١٢٦.
(٨) التوبة: ٤٠.

لكلِّ اثنين، فليس فيها شيء من صفات المدح»[١].

وقد وردت مواضع أخرى لأسباب النزول في كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين، تمثِّل أدلَّة وبراهين على إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

٤. الأدلَّة العقليَّة:

يستدلُّ فخر المحقِّقين في كتابه تحصيل النجاة في أصول الدين بالأدلَّة العقليَّة في مناظراته، بوصفها استدلالًا حواريًّا وأسلوبًا للتفاعل العقليّ، ومنهجًا فكريًّا لجنس المناظرة الحجاجيّ، فالارتباط الوثيق بين بلاغة الإقناع والمناظرة، لا يمكن تجاهله، وفي ذلك يقول بول ريكور: «المخاطبون المفضِّلون لفن البلاغة هم مستمعون مخصوصون، يجمع بينهم التنافس بين خطابات متعارضة ينبغي الاختيار بينها، ويتعلَّق الأمر في كلِّ حالة بترجيح كفَّة حكمٍ ما على حكمٍ آخر، وفي كلِّ وضعية من الأوضاع المذكورة، ثمَّة مناظرة تستدعي الحسم في قرارها»[٣]. ومن شواهد الأدلَّة قول فخر المحقِّقين: «الله تعالى قادر على نصب إمام معصوم، وحاجة العالم داعية إليه، ولا مفسدة فيه، فيلزم وجود القدرة والداعي وانتفاء الصارف، فيجب الفعل، وغير عليّ عليه السلام ليس بمعصوم إجماعًا»[٤].

وقوله بعد أن ذكر الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٥]، هذه الآية «تدلُّ على أنَّ مودَّتهم أجر الرسالة الدائم نفعها في جميع الأحوال، على جميع التقادير،

(١) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٦.
(٢) ينظر: تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٧.
(٣) البلاغة والشعريَّة والهيرمينوطيقا: ١٠٩.
(٤) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠١.
(٥) الشورى: ٢٣.

فيكون وجوب مودَّتهم ثابت في جميع الأوقات، على جميع الأحوال والتقادير، ولا يجوز ذلك في غير المعصوم، فتدلُّ على عصمتهم، وغيرهم ليس بمعصوم، فيكون الإمام عليًّا عليه السلام»[1].

وقوله بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾[2]، وفيها حكمان: «الأوَّل، عدم العقاب بوجه أصلًا، الثاني، حصول الثواب والدرجات العُلى، فإمَّا أن يكون تفضُّلًا، أو يكون بالاستحقاق في عملهم. الأوَّل، باطل لقوله تعالى عقب الجميع: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾[3]، فتعينَّ الثاني، وهو إنَّما يتمُّ أن لو لم يأتوا بمعصية أصلًا، ولم يخلُّوا بواجبٍ أصلًا، ولا نعني بالعصمة إلَّا ذلك، فيكون هو الإمام، إذ لا معصوم غيره»[4].

٥. الشواهد والوقائع التاريخيَّة:

من أحسن الأساليب إقناعًا، ومن أسهلها استيعابًا، وأوقعها في النفس، حيث يتفاعل معها الإدراك من خلال الأخذ والرَّدِّ، ويستفيد منها عامَّة الناس مع اختلاف مستوياتهم الفكريَّة، ومن أمثلتها في إثبات إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قول فخر المحقِّقين: «وكان أشجع الصحابة، فإنَّ الفتوح كانت عليه، ولم ينهزم من الحرب، وما بارزه أحد إلَّا قتله»[5]، والدلائل التاريخيَّة أبين من أن نستجليها.

وممَّا تقدَّم كلُّه تتَّضح وسائل الإقناع في كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين، بوصفه من الكتب الكلاميَّة التي تُعنى بمبادئ أصول الدين وفروعه.

(١) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٥.
(٢) الإنسان: ١.
(٣) الإنسان: ٢٢.
(٤) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٧.
(٥) تحصيل النجاة في أصول الدين: ١٠٢.

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه، آن لنا أن نختم بحثنا بعد أن نظرنا إلى بلاغة الإقناع بوصفه منهجًا لتحليل الخطاب، عبر بنيته وأساليبه وآليَّاته اللغويَّة، وأن نشرع ببيان نتائج بحثنا، وهي كالآتي:

١. دار الحديث في ترجمة المؤلِّف على فقرات عدَّة، منها نسبه وولادته ونشأته العلميَّة وتلامذته وآثاره ووفاته.

٢. كان علم الكلام من العلوم التي اهتمَّت بالمسائل العقديَّة، فاشتغلنا على تعريفه وبيانه ونشأته وأهمِّ ما يتناوله من مسائل.

٣. عرَّجنا على كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين، ووضَّحنا تقسيماته ومنهجيَّته، وطريقة المؤلِّف في عرض مادَّته، ومصادره التي اعتمد عليها، وما يشغله موضوع الإمامة من الكتاب.

٤. حاول البحث استكناه بلاغة الإقناع من خلال الأدلَّة والبراهين غير الصناعيَّة في إمامة أمير المؤمنين، من خلال كتاب تحصيل النجاة في أصول الدين، ممثَّلة بالقرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف المتَّفق عليه من الطَّرَفين، والشواهد وأسباب النزول، والشواهد والوقائع التاريخيَّة، والأدلَّة العقليَّة.

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابيّ (ت٣٣٩هـ)، تقديم وشرح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

٢. الإفصاح في الإمامة، الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، كنكرة شيخ مفيد، قم، ١٤١٣هـ.

٣. الألفين، العلَّامة الحِلِّيّ الحسن بن يوسف بن المطهَّر (ت٧٢٦هـ)، المؤسَّسة الإسلاميَّة، قم، ١٤٢٣هـ.

٤. أهمُّ نظريَّات الحجاج في التقاليد الغربيَّة من أرسطو إلى اليوم، د. حمَّادي صمود، ط١، منشورات كليَّة الآداب، منوبة، تونس، ١٩٩٨م.

٥. إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن (ت٧٧١هـ)، تحقيق: سيِّد حسين موسوي كرماني، علي بناه إشتهاردي، عبد الرحيم بروجردي، مؤسَّسة إسماعيليان، ١٣٨٧هـ.

٦. بحوث في علم الكلام، سعيد فودة، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٤م.

٧. بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ط١، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣م.

٨. البلاغة العربيَّة أصولها وامتداداتها، د. محمَّد العمريّ، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٩. البلاغة والشعريَّة والهيرمينوطيقا، ترجمة: مصطفى النحَّال، مجلَّة فكر ونقد، السنة الثانية، العدد ١٦، فبراير، ١٩٩٩م.

١٠. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، ط٤، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، (د.ت).

١١. تحصيل النجاة في أصول الدين، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن (ت٧٧١هـ)، تحقيق: حامد فيَّاضي، راجعه وضبطه: مركز العلَّامة الحِلِّيّ لإحياء تراث حوزة الحِلَّة التابع للعتبة الحسينيَّة المقدَّسة، مطبعة الكفيل، ط١، كربلاء المقدَّسة، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

١٢. تفسير الثعلبيّ، الكشف والبيان، أحمد بن محمَّد الثعلبيّ (ت٤٧٢هـ)، تحقيق: أبو محمَّد بن عاشور، نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٣. تفسير القمِّيّ، عليّ بن إبراهيم القمِّيّ (ق٣)، تحقيق: السيِّد طيِّب الموسويّ الجزائريّ، دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ.

١٤. تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقانيّ (ت١٣٥١هـ) الطبعة الرحليَّة، النجف الأشرف.

١٥. الخطابة، أرسطو، ترجمه عن اليونانية وشرحه وقدَّم له: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريَّة، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٦. خطاب المناظرة في التراث العربيّ (مقاربات لآليَّات بلاغة الإقناع)، أطروحة دكتوراه، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، مراكش، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.

١٧. دعائم الإسلام، ابن حيون النعمان بن محمَّد المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: أصف فيضي، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٣٨٥هـ.

١٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، إسماعيليان ودار الكتب الإسلاميَّة، قم وطهران، ١٤٠٨هـ.

١٩. الرسائل الأدبيَّة من القرن الثالث إلى القرن السادس للهجرة (مشروع قراءة إنشائيَّة)، صالح بن رمضان، رسالة ماجستير، كليَّة الآداب، منوبة، تونس ٢٠٠١م.

٢٠. الرسالة الفخريَّة في معرفة النيَّة، فخر المحقِّقين محمَّد بن الحسن (ت٧٧١هـ)، تحقيق: صفاء الدين بصري، مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد، إيران، ١٤١١هـ.

٢١. سنن ابن ماجة، أبو ماجة أبو عبد الله محمَّد بن يزيد القزوينيّ (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، (د.ت).

٢٢. سنن الترمذيّ، محمَّد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، محمَّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ، ط٢، مصر، ١٣٩٥هـ.

٢٣. شرح الأخبار في فضائل الأئمَّة الأطهار، ابن حيون النعمان بن محمَّد المغربيّ (ت٣٦٣هـ)، تحقيق: محمَّد حسين حسيني جلالي، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩هـ.

٢٤. شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانيّ (ت٧٩٣هـ)، مكتبة صبيح، مصر، (د.ت).

٢٥. شرح العقائد النسفيَّة، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانيّ الشافعيّ (ت٧٩٣ هـ)، مكتبة الكليَّات الأزهريَّة، القاهرة، (د.ت).

٢٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن عبد الله الحسكانيّ (ت٤٩٠هـ)، تحقيق: محمَّد باقر المحموديّ، طهران، ١٤١١هـ.

٢٧. صحيح البخاريّ، محمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاريّ الجعفيّ، تحقيق: حمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصوَّرة عن السلطانيَّة، بإضافة ترقيم محمَّد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٨. صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت).

٢٩. فخر الدين محمَّد، علي دواني (ت٢٠٠٧م)، مجلَّة درسهايي از مكتب إسلام، السنة الرابعة، رقم ١٠، ١٣٤١ش.

٣٠. فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم، أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: صالح بن محمَّد بن عقيل، دار البخاريّ للنشر والتوزيع، المدينة المنوَّرة، ١٤١٧هـ.

٣١. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمَّد عبَّاس، مؤسَّسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٢. فهرس التراث، السيِّد محمَّد حسين الحسينيّ الجلاليّ، انتشارات دليل ما، قم، ١٤٢٢هـ.

٣٣. الفوائد الرضويَّة في أحوال علماء المذهب الجعفريَّة، الشيخ عبَّاس القمِّيّ (ت١٣٥٩هـ)، تحقيق: ناصر باقري بيدهندي، مؤسَّسة بوستان كتاب، قم، ١٣٨٥ش.

٣٤. في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربيَّة، الخطابة في القرن الأوَّل نموذجًا، د. محمَّد العمريّ، سلسلة الدراسات النقدية، ط١، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٥. كتاب سليم بن قيس الهلاليّ، سليم بن قيس الهلاليّ (ت٧٦هـ)، تحقيق: محمَّد باقر الأنصاريّ، مطبعة الهادي، قم، ١٤٠٥هـ.

٣٦. كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمَّد بن عليّ ابن القاضي محمَّد حامد ابن محمَّد صابر الفاروقيّ الحنفيّ التهانويّ (ت بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. عليّ دحروج، نقل النص الفارسيّ إلى العربيَّة: د. عبد الله الخالديّ، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٧. الكنى والألقاب، الشيخ عبَّاس القمِّيّ، تقديم: محمَّد هادي الأمينيّ، منشورات مكتبة الغدير، طهران، (د.ت).

٣٨. اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافيّ العربيّ، ١٩٩٨م.

٣٩. مجالس المؤمنين، القاضي نور الله المرعشيّ التستريّ (ت١٠١٩هـ)، تحقيق وتعريب: محمَّد شعاع فاخر، دار هشام، قم (د.ت).

٤٠. المستدرك على الصحيحَين، الحاكم النيسابوريّ محمَّد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١١هـ.

٤١. المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، محمَّد بن جرير بن رستم الطبريّ (ت٣٢٦هـ)، تحقيق: أحمد محمودي، كوشانبور، قم١٤١٥هـ.

٤٢. مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٤٣. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السَّلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).

٤٤. معراج اليقين في شرح نهج المسترشدين في أصول الدين، فخر المحقِّقين محمَّد ابن الحسن (ت٧٧١هـ)، مطبعة دار الكفيل، العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، كربلاء المقدَّسة، ١٤٣٦هـ.

٤٥. المناظرة في الأدب العربيّ الإسلاميّ، د. حسين الصدِّيق، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصريَّة العالميَّة للنشر، لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤٦. المناظرات في الإمامة، تأليف وتحقيق: الشيخ عبد الله الحسن، ط١، مطبعة مهر، قم، ١٤١٥هـ.

٤٧. مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازليّ عليّ بن محمَّد (ت٤٨٣هـ):

- دار الأضواء، ط٣، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- تحقيق: محمَّد كاظم المحموديّ، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، طهران، ١٤٢٧هـ.

٤٨. المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجيّ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٩. موسوعة طبقات الفقهاء، الشيخ جعفر السبحانيّ، مؤسَّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤١٨هـ.

٥٠. النور المشتعل من كتاب ما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ (ت٤٣٠هـ)، جمعه ورتَّبه محمَّد باقر المحموديّ، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلاميّ، ١٤٠٦هـ.

٥١. نهج الحقِّ وكشف الصدق، العلَّامة الحِلِّيّ الحسن بن المطهَّر (ت٧٢٦هـ)، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ١٩٨٢م.